

اسم المادة: توحيد الأسماء والصفات - ١

من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: توحيد الأسماء والصفات -١
من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع



الحمد لله -تعالى- القائل في كتابه الكريم: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الشورى: ١١، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيءٍ قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه، وبعد؛

مرحبا بكم أيها الأكارم، وهذا لقاؤنا الخامس في قراءة كتاب الوجيز في عقيدة السلف الصالح للشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري -حفظه الله-.

وتناولنا فيما مضى التعريفات والمقدمات العقدية، ثم بدأنا في الحديث عن الإيمان بالله -عز وجل-، وتقسيم أهل العلم للتوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، توحيد الألوهية أو العبادة.

ومنهم كما ذكرنا في لقائنا الماضي من قسمه إلى قسمين: التوحيد العلمي الخبري فجعل توحيد الربوبية مع الأسماء والصفات، وتوحيد الطلب القصدي الإرادي وهو توحيد الألوهية ويلقب أيضًا بتوحيد العبادة.

وتحدثنا عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فيما مضى.

واليوم مع القسم الثالث من أقسام التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، وهو من الأهمية بمكان إذ هو رأس وسنام التوحيد.

يقول الشيخ: "القسم الثالث توحيد والصفات: معناه الاعتقاد اللازم بأن الله -عز وجل- له الأسماء الحسنى والصفات العلى وهو متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص متفرد بذلك عن جميع الكائنات والمخلوقات".

وأهل السنة والجماعة يعرفون ربهم -جل في علاه- بصفاته الواردة في القرآن والسنة لأن هذا هو الأصل، فالأسماء والصفات لله -سبحانه وتعالى- ليست تثبت بالسمع أو ليست تثبت بالعقل أو بالقياس أو غيرها، وإنما الأصل فيها أنها توقيفية، يعني لابد من النص عليها في

الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة الصحيحة الثابتة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

فأهل السنة يعرفون ربهم –جل في علاه– بصفاته الواردة في الكتاب والسنة، ويصفون ربهم بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم–، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ويثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف. وقاعدتهم في كل ذلك قول الله –تبارك وتعالى–: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الشورى: ١١.

تعريف بهذه الكلمات الأربع لأن كل واحدة من هؤلاء التي نفاها الشيخ قال من غير كذا هذه قد ضل فيها أقوام، فالإلحاد هو الميل عن الحق والانحراف عنه ويدخل فيه التعطيل والتحريف والتكييف والتمثيل، يعني كأن الإلحاد في أسماء الله وصفاته هو الأصل، وتفرع عنه بقى إن فيه ناس مثلوا صفات الرب صفات خلقه، وهناك ناس كيفوا صفات الرب يعني قالوا مثلًا هو على وجه كذا أو على كيفية كذا، وهذا كله منفي عن الرب –سبحانه وتعالى–، إذ لا تُدرَك هذه الأمور بالعقول، والعقول

قاصرة عن ذلك قطعًا، فلذلك قال الله –تعالى–: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا –أي ودعوا– الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأعراف:١٨٠، أما التعطيل فهو إما عدم إثبات الصفات بالكلية أو إثبات بعضها ونفي البعض الآخر.

– أما التحريف فعلى نوعين: إما تحريف اللفظ كما حدث من اليهود مثلا قال الله –عز وجل– لهم وقد أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة وأن يقولوا حطة أي حط عنا الذنوب، أو اغفر لنا الذنوب، فزادوا فقالوا حنطة، بمعنى القمح استهزاء بكلام المولى –سبحانه وتعالى– فده تحريف في اللفظ، وهناك التحريف في المعنى: صرفه عن المراد الظاهر إلى معنى لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح، يبقى كل تحريف سيدخل بالتالي فيه التعطيل وليس كل تعطيل تحريفًا.

– أما التكييف فهو بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات، وكذلك التمثيل إثبات المثل للشيء، مشابها له من كل الوجوه، ويقول الله –عز وجل– وحشاه –سبحانه وتعالى– له يدٌ ككذا، يمثل، وإذا قال على كيفية كذا، فهذا كله منفي عن الرب، وضل فيه الناس لما لم يقفوا عند نصوص الكتاب والسنة، ولم يقفوا حيث وقف سادات العلماء من

الراسخين في العلم سيما أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ورضي الله عنهم–، وقال نبينا –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ" والحديث أصله في الصحيحين.

وأهل السنة والجماعة لا يحددون كيفية الله –سبحانه وتعالى– جل وعلا، لم يخبر بالكيفية ولأنه لا أحد أعلم من الله بنفسه –سبحانه وتعالى– قال الله –تعالى–: "قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ" البقرة:١٤٠.

وقال –سبحانه–: "فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ" النحل:٧٤.

ولا أحد أعلم بعد الله بالله من رسوله –صلى الله عليه وسلم– الذي قال الله في حقه: "وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" النجم٣:٤.

فالذين يتكلمون في كيف صفات الله –سبحانه وتعالى– هؤلاء ضُلّال وقد خالفوا الكتاب والسنة وما أجمع عليه الصحابة –رضي الله عنهم وأرضاهم–، فليس هناك حرف واحد عن الصحابة في تكييف صفات الله –عز وجل–، يعني يذهب كيفية كذا، أو استوى على كيفية كذا، هذا كله منفي عن الله –عز وجل–، نعم نُقر بأنه لابد أن تكون هناك

كيفية، لكن هذه الكيفية لا يعلمها إلا الله، هو أعلم بنفسه من خلقه -سبحانه وتعالى-، وعقولنا قاصرة قطعًا عن أن تدرك هذه الكيفية.

فلذلك أهل السنة يؤمنون بأن الله -سبحانه وتعالى- هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، قال الله -تعالى-: "هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" الحديد:٣، -سبحانه وتعالى-.

وكما أن ذاته -سبحانه وتعالى- لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات، لأنه -جل وعلا- لا سمي له ولا كفؤ له ولا ند له ولا نظير له -سبحانه وتعالى-، ولا يقاس بخلقه، كيف تقيس المخلوق على الخالق -سبحانه وتعالى-؟ ولذلك احنا بنقول إن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في ذات الرب، فإذا كنا لا نعرف كونه الذات فبالتالي نحن لا نعلم أيضًا ولا نستطيع أن نتصور كيفية هذه الصفات، لكن بنثبتها لله طالما أنه حكاها عن نفسه أو أخبرنا بها رسوله -صلى الله عليه وسلم-، نؤمن بها على الحق والوجه اللائق الذي يليق به -جل في علاه-.

فيبقى أهل السنة يثبتون لله ما أثبته لنفسه، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فحين يثبتون لله -تعالى- ما أثبته لنفسه لا يمثلون، ولذلك العلماء قال اللي بيمثل صفات الرب من صفات المخلوقين هذا بيعبد أوثان، والذي يُعطل خصوصا بقى الناس اللي بتنفي صفات الرب -سبحانه وتعالى- يقول عليم بلا علم، كريم بلا كرم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، كل هذا الكلام فقالوا بأنه يعبد عدمًا، وكلاهما لا يليق إثباته لله -سبحانه وتعالى-.

وكذلك يؤمنون بأن الله -عز وجل- محيط بكل شيء، وخالق كل شيء، ورازق كل حي -سبحانه وتعالى- وهو على كل شيء قدير.

قال الله -عز وجل-: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" الذاريات:٥٨.

وقال -سبحانه-: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك:١٤.

وكذلك يؤمنون -أي أهل السنة والجماعة- بأن الله -سبحانه وتعالى- استوى على العرش فوق سبع سماوات، كما يؤمنون بعلوه على خلقه، وأنه بائن من خلقه، أحاط بكل شيء علمًا كما أخبر عن نفسه في كتابه العزيز وفي سبع كلمات بلا تكييف:

قال الله -تعالى-: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" طه:٥.

وقال -سبحانه-: "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" يونس:٣.

وقال -عز وجل-: "أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ -أي من على السماء- أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ" الملك١٦:١٧.

وقال -تعالى-: "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" فاطر:١٠.

وقال -سبحانه- عن الملائكة: "يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" النحل:٥٠.

وقال نبينا -صلى الله عليه وسلم-: "أَلَا تَأْمَنُونِي وأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ"[١] -سبحانه وتعالى-.

ولذلك بنقول إن ربنا -سبحانه وتعالى- له كل كمالات العلو، فهو عالٍ في ذاته -سبحانه وتعالى- أعلى الذوات هي ذات الرب -عز وجل-، وكذلك له علو القدر -عز وجل-، وعلو القهر والسطوة على خلقه -عز وجل-، كل الخلق في قبضته -سبحانه وتعالى-.

[١] صحيح البخاري

فلذلك أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الرحمن على العرش استوى، والسلف من الصحابة ومن بعدهم جه أربع معاني صحيحة عن استواء الرب، منها استقر ومنها علا ومنها ارتفع ومنها صعد، وما دون ذلك فغير ملتفت إليه، بل هو غير صحيح بل تقول وتجوز، بل أوقع هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون تنزيه الرب –سبحانه وتعالى– عن المكان والزمان، وهو منزه –عز وجل– عن ذلك، فكانوا يقولون: كان الله ولا عرش يريدون نفي أن الله –سبحانه وتعالى– استوى على عرشه، وناطق الفطرة يدعو إلى هذا، يعني أذكر أن الإمام أبي المعالي الجويني إمام الحرمين وكان بيذهب هذا المذهب يعني إيه؟ إن كان الله على عرشه يريد نفي العلو الذي يثبته أهل السنة والجماعة، فقال هذا الكلام على المنبر، فقام رجل من عوام الناس وقال يا إمام دعنا مما تقول، احنا انت إمام كبير وإذا تكلمنا معاك في الأدلة هتغرقنا لا نستطيع أن نجاريك، وهو لقب بإمام الحرمين لأنه جمع علم أهل مكة وعلم أهل المدينة، دار الوحي ها هنا وها هنا، وكان أحد أذكياء الدنيا، فقال: لكن أخبرنا عن هذه الضرورة التي يجدها كل منا أنه ما دعا أحد لله –عز وجل– إلا وجد قلبه يصعد نحو العلو، حل لنا المشكلة دي، فما كان من الإمام

إلا أن سكت وضرب على رأسه وقال: حيرني الهمداني حيرني –اللي هو الراجل العامي البسيط الذي وقف وكلمه بناطق الفطرة الذي يقر به كل إنسان يعرف شيئا عن الله –سبحانه وتعالى–.

فالذين قالوا الرحمن على العرش استوى بمعنى استولى أساءوا غاية الإساءة لمعنيين:

أولًا هذا معنى غير معروف عن السلف، مبتدع مخترِع لما جم يستدلوا عليه استدلوا ببيت منحول على شاعر نصراني، الأخطل النصراني فقالوا قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق، يبقى بيت ومنحول يعني مكذوب، والشاعر اللي قاله بيزعموا إن هو نصراني، فكيف يستدل بمثل هذا في الكتاب والسنة؟ ده أمر.

الأمر التاني أن العلماء قالوا بأن هذا معنى لا يليق بالله، لأن الاستيلاء على الشيء لا يكون إلا بعد نوعٍ من المنازعة، فمن الذي نازِع الله في عرشه حتى يستولى المولى –عز وجل– عليه؟ هذا معنى قبيح لا يليق.

ولو سلموا بما قاله الصحابة ومن بعدهم: الرحمن على العرش استوى، هي تكفي قراءتها، ارتفع وعلا وصعد واستقر كما يليق بجلاله، هو غني عن العرش، والعرش لا يحمله بل كل شيء ما دون الله بقدرة الله –عز

وجل- محمول، ولا يقوم إلا من أقامه الله -عز وجل-، فلذلك هذا المعنى لا يليق، ولذلك نقل الإمام إسحاق بن راهويه -رحمه الله تبارك وتعالى- الذي قال فيه الإمام أحمد: "ما عبر الجسر مثل إسحاق" في علمه ورسوخه في العلم، كان يمدحه جدًا الإمام أحمد وقال: "وإن كان يخالفنا في أشياء" لكن بيشهد له أنه من أهل الرسوخ في العلم قال إسحاق بن راهويه في قوله -تبارك وتعالى-: "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" قال في هذه الآية: "إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة"، رواه الإمام الذهبي في كتابه الماتع العلو للعلي الغفار -سبحانه وتعالى-.

وأهل السنة يؤمنون بأن العرش والكرسي حق لا ريب فيهما، قد يتصور إنسان دلوقتي إن العرش من صفات الله والكرسي وهذا غير صحيح، إنما نسبتهما إلى الله -عز وجل- نسبة المخلوق إلى الخالق، كرسيه ده تشريف للكرسي لكنه خلق من خلق الله، والعرش خلق من خلق الله -تبارك وتعالى-، ليس من صفاته -عز وجل-.

- العرش هو أعلى المخلوقات، وأكبرها وأعظمها وسقفها، وهو كالقبة على العالم، لا يقدر قدره إلا الله -عز وجل-، وهو ذو قوائم تحمله الملائكة، قال الله -تعالى-: "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" النمل:٢٦.

- والكرسي بين يدي العرش وهو موضع القدمين للرب -سبحانه وتعالى-، والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في فلاة، ووسع السماوات والأرض، يعني شوف الكرسي كحلقة ملقاه في فلاة يعني أرض واسعة جدًا ده بالنسبة للعرش، طب إذا كان الكرسي هذا قال الله في شأنه: "وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" البقرة:٢٥٥ إذًا العرش ماذا يكون؟ هذا شيء لا يتخيله العقل، عظيم -سبحانه وتعالى- وكل ما ينسب إليه عظيم -جل في علاه-.

ولذلك يؤمنون بأن الله -تعالى- مستغنٍ عن العرش والكرسي، وهو -سبحانه- منزه عن أن يحتاج إلى العرش وما دونه، فشأن الله -جل وعلا- أعظم من ذلك، بل العرش والكرسي محمولان بقدرته سبحانه وسلطانه.

ويؤمنون أن الله -تعالى- خلق آدم -عليه الصلاة والسلام- بيديه، وأن كلتا يديه يمين، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء كما قال نبينا -صلى الله عليه وسلم- سحاء الليل والنهار، انظروا كم أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه، لم ينقص ما في يمينه -سبحانه وتعالى-، وعجب والله عجب، أن يرزق الله -عز وجل- من يكفر به، ومن يسبه -سبحانه وتعالى- ويزعم أنه يعبده، حينما ينسب له الصاحبة وينسب له الولد، وينسب أن خلقه من الملائكة هم بنات الله، إلى غير ذلك كما نفاه الله -عز وجل- وجعله من أقبح أقوال المشركين به وجل.

ولذلك قال الله -تعالى-: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" ص:٧٥، وهو آدم -عليه السلام-، وهذا الخطاب كان موجها لعدو الله إبليس.

وقال -تعالى-: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ" المائدة:٦٤.

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله -تبارك وتعالى- علمًا وقدرة وقوة وعزًا وكلامًا وحياةً ومحبَّة ورحمَّة ونفسًا وغضبًا وسخطًا وكراهيةً ورضا وضحكًا ومعية وقدمًا وساقًا ويدًا وسمعًا وبصرًا ووجهًا وعينًا وغيرها من الصفات التي تليق بجلاله وعظمته وكماله -سبحانه-، والتي وصف الله -عز وجل- بها نفسه في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم-، بكيفية يعلمها الله ولا نعلمها، لأنه لم يخبرنا بالكيفية.

قال -تعالى- لموسى وهارون: "إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" طه:٤٦.

وقال -سبحانه-: "وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" التحريم:٢.

وقال: "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" النساء:١٦٤. كان بعض المحرفين يقول: وكلم اللهَ موسى تكليما، واخد بالك يعني إيه؟ كأن التكليم من موسى -عليه السلام-.

وكذلك قوله -تعالى-: "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ" الرحمن:٢٧.

وقال -سبحانه-: "رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" المائدة:١١٩، إثبات صفة الرضا التي هي من الصفات العالية، وإذا رضي الله -عز وجل- على عبد لم يسخط عليها أبدًا -سبحانه وتعالى- ورِضاه لا حد لبركته،

وأهل الجنة من كمال نعيمهم أن يرضى الله –سبحانه وتعالى– عن أهل الجنة، ولذلك لما يناديهم –سبحانه وتعالى– بعد أن يدخلوا الجنة، يا أهل الجنة تريدون شيئا أزيدكم؟ يقولون يا ربنا ومالنا لا نرضى وقد أجرتنا من النار وأدخلتنا الجنة ويثنون على الله –عز وجل–، فيقول الله –سبحانه وتعالى–: اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا، نعمة عظيمة أن يرضى الله –سبحانه وتعالى– عن العبد، والعبد إذا كان موفقًا يرضى عن ربه، يرضى عنه في السراء كما يرضى عنه في الضراء، يرضى عنه في العبادة، كما يرضى عنه وهو يباشر أمور الدنيا، فحياته لله وبالله ويرجو الثواب من الله –سبحانه– ويخاف العقاب منه –عز وجل–.

وقال –سبحانه–: "وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ" الفتح:٦.

وقال –عز وجل–: "فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ" الزخرف:٥٥ أغضبونا.

وقوله –سبحانه–: "يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ" القلم:٤٢.

وقال الله –سبحانه وتعالى–: "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" البقرة:٢٥٥.

وغيرها من الآيات الكثيرة في صفات الرب –سبحانه وتعالى–.

أهل السنة والجماعة أيضًا يؤمنون بأن أفضل وألذ نعيم يناله أهل الجنة هو رؤية ربهم –سبحانه وتعالى– في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه، قال الله –تعالى–: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" القيامة٢٢:٢٣، وأنهم سيرونه –سبحانه– كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك فقال: "نَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةً – يَعْنِي البَدْرَ – فَقالَ: إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ"[٢] في بعض الروايات ليس دونه سحاب، ليس دونه إيه؟ ومعروف إن أعظم اكتمال للقمر يكون ليلة البدر ليلة الرابع عشر ده يكون القمر كأزهى ما يكون، فإذا لم يكن سحاب كل الناس المبصرون يرون القمر، لا تضامون في رؤيته، يعني لا ينالكم ضيم، لا يحصل بسبب الزحام أن تُحجب هذه الرؤية

[٢] صحيح البخاري



بسبب الزحام، بل الخلق يرون ربهم، لكن التلذذ والاستمتاع بالرؤية وهذا النعيم لله -سبحانه وتعالى- من العبيد تكون أيضًا على قدر مراتبهم، فهناك المقربون في الرؤية، وهناك الأواسط، وهناك المتأخرون، نعم كلهم يتمتعون ويتنعمون، لكن ليس النعيم واحدًا، إنما من كان في القرب ومن كان من خاصة الله -عز وجل- وسكن الغرف العاليات والفردوس الأعلى فإن نعيمه يكون أعظم ممن دونه كما هو الشأن في نعيم أهل الجنة عموما.

ويؤمنون كذلك بأن الله -تبارك وتعالى- ينزل إلى السماء الدنيا كما يليق بجلاله -سبحانه وتعالى-، فلا السماء ولا الأرض تحويه -عز وجل- هو خارج عن الزمان والمكان -سبحانه وتعالى-، نزولًا يليق بجلاله وعظمته -جل جلاله- بلا كيف.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يَنزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟"[٣]، شوف حالك بقى انت بتعمل إيه في هذا الوقت؟ ناس كتير ممكن تسمع بهم، ينامون طوال النهار ثم

[٣] صحيح البخاري

يقومون كخفافيش الظلام، إذا أظلم الليل وأقبل، يبارزون الله –عز وجل– بكل المنكرات والمعاصي، وربهم –عز وجل– يحلم عليهم ويسترهم –سبحانه وتعالى–، ويمد لهم في أسباب العافية، هم بيعصوا ربنا بإيه؟ بالصحة اللي ادهالهم، والأموال التي أغناهم بها، وحسن الصورة وكثير من الأمور، كل الأمور دي بيكرسوها كي يعصوا الله –سبحانه وتعالى– بدل أن يشكروه –عز وجل– "مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا" النساء:١٤٧.

وأقبح مِن هؤلاء –أي الذين يعصون الله– من يذهب يفتخر إذا أصبح ولقي الأشقياء مثله فيقول: فعلت البارحة كذا وكذا، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في هؤلاء: "كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنْه"[٤] إيه الفخر في المعصية؟ إيه المزية إنك تخبر أمر قد ستره الله عليك وعصيته فيه لعلك تتوب من قريب، لكن اللي بيفتخر في المعصية ده التوبة بعيدة منه جدًا، لأنه يتخذ من معصية الله

[٤] صحيح البخاري

شيئا يفتخر به، فأنى له أن يذكر ربه أو أن يتوب إليه –سبحانه وتعالى–

.

فلذلك بنقول إن ثلث الليل هذا هم يستغفرون، "كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" الذاريات١٧: ١٨، انت إذا نمت أول الليل كما هو هدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– ينهى عن النوم قبل العشاء والحديث بعدها، إلا إذا كانت هناك ضرورة أو مصلحة، كطلب علم أو السهر في حراسة ثغور المسلمين، أو هناك في المستشفيات مناوبات وغير ذلك، يبقى ده خلاص إنسان مضطر لهذا، أما يقعد سمر كده وفرفشة ومع شلة الأنس، ويضيع عمره على المقاهي والكافيهات والأماكن التي لا يذكر فيها اسم الله –عز وجل– إلا قليلا، فهذا لا شك أنه ضياع لعمر الإنسان ولرأس ماله، وفضلًا عما يكتسبه من السيئات، فإذا نام الإنسان مبكرًا وقام من آخر الليل كما كان يقوم نبينا –صلى الله عليه وسلم– يتهجد ويتنفل لله –سبحانه وتعالى–، فقيام الليل هو دأب الصالحين من قبلنا، وهو شرف المؤمن أن يقوم بين يدي الله –عز وجل– يصلي ركيعات، خصوصًا في هذا الوقت الذي يتنزل فيه الرب، عندك

أي مشكلة، نام بدري وقم صل لله في الثلث الآخر، فالرب يتنزل كما يليق بجلاله –سبحانه وتعالى–، فيقول من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ فإذا وافقت نزول الرب –سبحانه وتعالى– في هذا الوقت الشريف فهذا يكون أرجى بإجابة سؤالك ودعائك لله –سبحانه وتعالى–، فيقول الرب في الثلث الآخر من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني؟ فأغفر له.

ويؤمنون بأن الله تعالى يجيء يوم الميعاد، والملك صفًا صفًا، للفصل بين العباد وللحكم بينهم، مجيئًا يليق بجلاله وعظمته –جل وعلا– بلا كيف كما وصف نفسه في كتابه العزيز، بقوله: "كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي" الفجر٢١ : ٢٤، عرفت دلوقتي إن هي دي حياتك، أمال اللي انت كنت بتحياها إيه؟ أكثر الناس يعيشون حياة البهائم يأكل ويشرب ويأتي الشهوات المحرمات وهو في غفلة تامة "يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" الروم:٧، والله –سبحانه وتعالى– قال أيضًا:

"وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" محمد:١٢ ، هي دي الحياة الحقيقية، "وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" العنكبوت:٤٦ ، الحياة الدائمة الحياة السرمدية ما لهاش نهاية، أما الحياة الدنيوية فهي مقطوعة بعمر قسمه الله –عز وجل– لكل منا.

نسأل الله أن يبارك في أعمارنا وأن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى لاستغلال هذه الأعمار وأن نقدم على الله –عز وجل– بأعمال طيبة حتى نستبشر يوم القيامة إذا تطايرت الصحف فنأخذ الصحف بأيماننا ونقول "هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ" الحاقة١٩ :٢٠، وقال الله –تعالى–: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ" البقرة:٢١٠.

واضح أن المؤلف أطال النفس بعض الشيء في توحيد الأسماء والصفات، وهو خليق بذلك، لماذا؟ لأنه حدث خلاف كثير في هذا الباب، وخرجت فرق كثيرة: الجهمية: أنكروا الأسماء والصفات، المعتزلة: تأولوها، الأشاعرة أيضًا: خاضوا أثبتوا بعض الصفات وأنكروا كثيرًا منها أو تأولوها على غير الوجه الصحيح.

وأهل السنة والجماعة المتبعون لآثار النبي –صلى الله عليه وسلم– وأقوال أصحابه هم الذين وفقوا فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، ووقفوا حيث وقف الصحابة –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم– ولعله إن شاء الله إن مد الله في أعمارنا نستكمل الحديث عن الأسماء والصفات في درسنا القادم بمشيئة الله –عز وجل–

.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يستر عيوبنا ونقول كما قال نبينا –صلى الله عليه وسلم–: "اللهمَّ إني عبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذَهابَ همِّي وغمي" اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.